

تفسير البغوي

إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا

قوله - عز وجل - : (إذ جاءوكم من فوقكم) أي : من فوق الوادي من قبل المشرق ،
وهم أسد ، وغطفان ، وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف
من غطفان ، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود
بني قريظة) (ومن أسفل منكم) يعني : من بطن الوادي ، من قبل المغرب ، وهم
قريش وكنانة ، عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه ، وأبو الأعور عمرو بن
سفيان السلمي من قبل الخندق . وكان الذي جر غزوة الخندق - فيما قيل - إجلاء رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بني النضير من ديارهم . (وإذ زاغت الأبصار) مالت
وشخصت من الرعب ، وقيل : مالت عن كل شيء فلم تنظر إلى عدوها (وبلغت القلوب
الحناجر) فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع ، والحنجرة : جوف الحلقوم ،
وهذا على التمثيل ، عبر به عن شدة الخوف ، قال الفراء : معناه أنهم جنوا وسبيل الجبان

إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلب إلى الحجرة ، ولهذا يقال
للجبان : انتفخ سحره . (وتظنون بالله الظنونا) أي : اختلفت الظنون ; فظن المنافقون
استئصال محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضي عنهم ، وظن المؤمنون النصر
والظفر لهم . قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر : " الظنونا " و " الرسولا " و " السبيلا " بإثبات
الألف وصلا ووقفا ، لأنها مثبتة في المصاحف ، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الألف
في الحالين على الأصل ، وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رءوس
الآي . (هنالك ابتلي) أي : عند ذلك اختبر المؤمنون ، بالحصار والقتال ، ليتبين المخلص
من المنافق (وزلزلوا زلزالا شديدا) حركوا حركة شديدة .